المسرحيات (١)

بقلم : الدكتور عبدالقادر القط

أول ما يسترعي الانتباه في معظم هذه المسرحيات ظاهرة طيبة كنا نفتقدها في كثير من أعمالنا الأدبية التي تصور كفاحنا في سبيل الاستقلال والحرية وتهدف الى بث روح الإقدام والتضحية في النفوس . تلك الظاهرة هي تمجيد السلام وتصوير النوازع الإنسانية الكريمة في نفوس الأبطال من تقديس الحياة والاقبال عليها والتشبث بها والأمل في مستقبل يمحو عار الحاضر وجرائمه ويرد الى النفوس معدنها الانساني النبيل . إن أشخاص هذه المسرحيات ليسوا كما تعودنا في معظم مسرحياتنا الوطنية أبطالا مغامرين مندفعين قد امتلأت نفوسهم بايمان لا يشوبه شك وقوة لا تعتريها لحظات من الضعف ، وهم ليسوا مجرد نماذج ومثل عليا يرسمها المؤلف لصور البطولة المطلقة في نفسه دون مراعاة لطبيعة الواقع ونوازع النفس البشرية بما فيها من شك وتردد وضعف في بعض الأحيان . وليس معنى ذلك أنهم جبناء أو أنهم لا يؤمنون ايماناً كاملا بعدالة القضية التي يحاربون من أجلها وفي سبيل التضحية في سبيلها ، ولكنهم يرون تلك الحرب شيئاً بشعاً خبيثاً يضطرون اليه اضطراراً ويدفعهم اليه أنانية المستعمرين وحقدهم وعدائهم لحريات الشعوب واستقلالها . وهم حين يضطرون الى هذه الحرب لا يقصرون في جهد ولا تضحية رغم لحظات الشك التي تعتريهم بل يمضون فيها جاهدين مضحين على ما يرون من قلة عددهم وعدتهم دون أن يفقدوا الأمل لحظة في حياة مشرقة مليئة بالمحبة والسلام ؛ حياة لا يظفر الإنسان فيها بالحرية فحسب ، بل يسن لنفسه فيها شرائع جديدة تتيح له أن يخلق بملكاته المقدسة ، الحكمة والفن والأدب والسياسة . يقول الأستاذ مصطفى الحلاج في مسرحيته « القتل والندم » على لسان بطلها فرحات « .. نعم حسبك أن تكون محارباً ، فالمحاربون هم الشعلة في كل زمن . أنت تشعل وجدان الأمة ولكنه هو الذي يضيء . لست سوى ثقاب ولكن اللهب سوف يتصاعد وينتشر ويبدد نوره كل معاقل الظلام المنشورة فوق أرضنا . انظر إذن .. لماذا تثور هذه الشعوب في أصقاع الأرض جميعاً وكيف تسير ؟ إن البداية تكون دائماً من أجل أن يمتلك الناس مصيرهم ، ثم هم يصنعون بعد ذلك حكمة وفناً وأدباً وسياسة . لقد ثار الروس والصينيون والهنود فهل اقتصرت ثورتهم على طرد القياصرة أو الأباطرة أو الأجانب ؟ إنهم ينظمون لأنفسهم شرائا جديدة ، وليس لغير إنسان هذا العصر حظ حقيقي في تبديل قيم الحياة ع إنسان هذا العصر المشرف من خلفه على خرائب الإنسانية ، والمطل من امام على إشراقة المستقبل ! »

ويقول الأستاذ جبان في مسرحيته « المقاتلون » على لسان بطلها محمد

(١) كان المفروض ان ينشر هذا النقد للمسرحيات في العدد الماضي ، ولكنه تأخر في الوصول ، فلم نشأ أن نحرم القراء منه لأهميته ورصانته . « الآداب »

« .. حين أدافع عن وجودينا وعن ابرهيم الصغير ، عن السنبلة المرتعشة في حقل كلون الذهب ، وعن مرح الطيور المغردة ، فوق شجيرات الكروم الخضراء ، وأنتصب كسد عال لأوقف اندلاع النيران من القلوب التي يخرسها ثقل الرصاص ولأحسن الدفاع عن أغانينا الكريمة وذكرياتنا ، أكون قد حققت بعضاً من طيبتي ويحق لي أن أفخر وأفرح . لن تجرؤ أية قوة أن تكون شرطياً خالداً يراقب بصرامة وقسوة حدود فرحنا العظيم بالثورة . أبداً لن تقدر ! »

ويقول الأستاذ ميخائيل نعيمة في مسرحيته « القصر والمعمل » : « أيها السائقون ظعن المنايا كيف تهزجون ؟ أيها المستحمون بالدم الحي كيف تطهرون ؟ أيها المدلجون إذ يقبل الفجر أين تدبرون ؟ »

وبين الشك والإيمان والضعف والقوة ، يدور صراع قوي في نفوس هؤلاء الأبطال . إنهم لم يتخلوا عن انسانيتهم ولم تحلهم الحرب الى وحوش ضارية بعيدة عن مشاعر الرحمة صماء عن صوت الضمير . ففرحات ثائر على نفسه وعلى تلك القسوة البشعة التي اضطرته الحرب أن ينحدر اليها ، ولكنه مع ذلك مصمم على التمسك بها والمضي في الكفاح إلى النهاية ! « نعم .. لقد انحدرت في قسوتي فما أنا بعد بانسان عادي . صرت ظالماً وسفاحاً وقتلت والدتك التي أحبها .. ولكني أنا مثلكم سفاح . أرى إلى نفسي وأنا أنسلخ كل ساعة كما تنسلخ قشرة الشجرة بفعل مدى الأطفال العابثة . أنا أحب مصيري هذا وأرتضيه .. »

ومحمد يحس وقد اعتزم أن يهجر صديقته جانيت في باريس إلى أرض المعركة في الجزائر ، يحس ببشاعة الموت وبالمقاومة الضخمة بين ماهو مقبل عليه وبين ما كان فيه من متعة وأمن : « سوف أرحل بعيداً عنك . وهناك بغفلة سوف تطرحني رصاصة طائشة ونستقر في قلبي وسيقف لأول مرة عن الخفقان . وسأغدو جيفة ، بارداً منتناً .. جانيت ، انظري في عيني جيداً وتذكري لونهما . فبعد أيام سأكون ملقى على ظهري وصدري مثقوب كالغربال ، وهاتان العينان متصلبتا النظرات على زرقة السماء وعتمتها . والريح والمطر سوف يصفعان وجهي ويدي وجسدي بشراسة ولكني لا أريم حراكاً .. » ولكن ذلك الضعف البشري الغريزي لا يصرفه عن التضحية والكفاح ، فنراه وقد استمر في حديثه يرسم لنفسه صورة شاعرية للميتة التي يشتهيها في سبيل وطنه : « كم يلذ لي أن أموت في حقل من الحنطة الخضراء في بلادي . وعلى مبعدة من الطرف الآخر من الحقل تسمع خفقات مويجات الماء في ضلوع الساقية الطينية ، وتحلق فوق جثتي طيور مرحة في وهج الشمس الأرجواني الدفيء » .

ولاشك أن هذا أسلوب فني ناجح في معالجة القضايا الوطنية عن طريق المسرحية ، وهو يفضل معالجتها برسم بطولات نموذجية وأبطال مثاليين . فالمشاهد أو القارئ ينظر إلى البطل المثالي على أنه مخلوق فوق طاقة البشر لايمكن له هو أن يتطلع إلى مكانته أو أن يطمع في أن يحاربه في تضحيته وشجاعته وإقدامه . لذلك لايعدو تجاوبه معه أن يكون مزيجاً من الإعجاب والروعة والدهشة . أما البطل الذي يصوره المؤلف إنساناً ذا نوازع بشرية مختلفة تدفع

به ساعة إلى الشك وأخرى إلى الإيمان ومرة إلى الضعف وثانية إلى القوة، فانه ينفذ إلى وجدان المشاهد أو القارئ فينفعل به ويتجاوب معه ويحس أنه يمكن أن يتطلع إلى مثل تلك البطولة ويصل إليها . وهكذا تكون المسرحية دافعاً لمتلقيها إلى الكفاح والتضحية . يقول محمد بطل مسرحية « المقاتلون » : « لست بطلا يا حبيبتي .. لست بطلا أبداً . إنني إنسان بسيط مغمور في صخب الحياة ، صحفي لأحدى الصحف الطيبة . ستنفجر في جسدي دوامة هائلة مرعبة إذا بقيت اصطاد ديول الأخبار هنا وهناك . ينبغي أن أقاتل في بلادي . يجب .. » وفي مثل هذه الشخصية المتواضعة يستطيع الإنسان العادي أن يجد نفسه وأن يدرك أنه أهل للبطولة في يوم من الأيام .

على أن مسرحيات العدد ليست كلها من هذا الطراز . فهناك مسرحية « الفدائي الصغير حسن » للأستاذ خليل هنداوي ، وبطلها صبي من ذوي الطفولات المبكرة النادرة يتحدث بحكمة قل أن يؤتاها من كان في مثل سنه . ولاشك أن ما ينطق به من عبارات محكمة تدل على الوعي والمعرفة، وأساليب التعبير الفني ليست إلا صورة للمؤلف نفسه، وكان هذا الفدائي الصغير مجرد وسيلة لابرازها . مثال ذلك هذا الحوار الذي يدور بين حسن وأفراد من حرس الحدود :

خالد — لا تدعوه يرى شيئاً... لا شيء .. لا شيء.

حسن — (متضاحكاً) بل رأيت كل شيء أيها الرقيب ! رأيت أمواتاً يحملون أمواتاً .

سعد — لا تفيد الفلسفة شيئاً .

حسن — لقد قتلونا مرتين . هنا مرة وفي مؤتمراتهم مرة . أرى سلاحاً ولا اشم دخاناً .. والهفتاه ! إن بنادقهم لا تستطيع أن تتجاوز خط الهدنة .

الحارس — (مغضباً) من قال إنها لا تستطيع ؟ (يطلق طلقة) انظر اين وقعت !

حسن — لنمش على نورها إن كنتم أبطالا !

خالد — إلى اين ؟

حسن — إن الدم لا يحرسه إلا الدم .

خالد — أعد بشرفي أن أكون معك يوم الثأر .

حسن — إذن كسبت جيشاً مقاتلا .

خالد — هل انتهى كل شيء ؟

حسن — يالها من ميتة هادئة ! لم يستطع الموت أن يقتلني .. لعل له معي موعداً آخر في مائدة شهية تكتظ بلحوم الأحياء . لا تزال ريح لحوم أهلي في أنفي . إن دمهم كان يشخب على وجهي دافئاً . لا يستطيع التراب أن يمتصه سريعاً . »

فهذه « الفلسفة » كما سماها الحارس وتلك العبارات المركزة ذات الدلالات الكبيرة وغيرها من الصور الحسية والمجازية الكثيرة لا يمكن كما قلنا أن تجري على لسان ذلك الفدائي الصغير . ولعل المؤلف قد تأثر بالطابع العام للمسرحيات الإذاعية ، فهي في الغالب تؤثر المضمون على الاعتبارات الفنية وتقصد إلى توضيح المشكلات لجمهور السامعين في صورة نموذجية كاملة . ولاشك أن لمثل تلك المسرحيات الإذاعية دورها الكبير في بعثة الشعور القومي وبث روح الحماسة والتضحية في النفوس، وهي شيء لابد منه في الظروف التي نجتازها، ولكنها بعد ذلك ليست ذات قيمة فنية كبيرة .

على أن الأسلوب الواقعي الذي امتدحناه في رسم شخصيات المسرحيات الأخرى لا يمكن أن يكون وحده كافياً لعمل مسرحي ناجح . فهناك اعتبارات فنية أخرى يجب أن يراعيها المؤلف .. ففي مسرحية « القتل والندم » مثلا نقص خطير هو خلوها من الحركة المسرحية ، وغلبة الحوار الذهني الطويل عليها وبخاصة في جزئها الأول حيث نرى الشخصيات تتحاور حواراً يلف ويدور حول مشكلة واحدة دون أن يكون هناك حدث متطور ينبع من خلاله هذا الحوار ويكون حديث الشخصيات انفعالا به أو تجاوباً معه . والحوار إلى جانب ذلك غامض في كثير من المواضيع وصياغته في كثير من الأحيان غير مسرحية ، كتلك العبارة التي تنطق بها الشخصيات على سبيل التعجب « أيها الإله ! » وكان من الخير أن تكون « يا إلهي » مثلا، فان العبارة الأولى يغلب عليها معنى النداء أكثر من معنى التعجب. ومع ذلك، في الحوار أجزاء أخرى جميلة جمالا يبلغ حد الروعة، ولكنه لا يقوم مبرراً لهذا الفتور الغالب على جزء كبير جداً من المسرحية . وفي رأيي أن المسرحية لهذا العيب لا يمكن أن تصلح للتمثيل وإن كانت قراءتها ممتعة في كثير من المواضيع .

أما مسرحية « المقاتلون » فانها أكثر مراعاة لمقتضيات المسرح وأحفل بالحركة المسرحية . ولكن حوارها مع جودته لا يمكن أن يقاس الى حوار المسرحية السابقة بما فيه من عمق وأصالة وروح انسانية سامية . على أني كنت أوثر للمؤلف ألا يبتر الصلة بين فصليها كما فعل . صحيح أن الفصل الأولى قد نقل إلينا معاني إنسانية كبيرة تتصل بقضية الجزائر، وبين أن من الفرنسيين أنفسهم أحراراً يؤمنون بأن قضية الحرية والسلام في العالم لا يتجزأ وأن الطغاة في الجزائر هم الطغاة أنفسهم الذين يسومون العمال الظلم والعسف في فرنسا . وصحيح أن الفصل قد أوضح إلى جانب ذلك مقدار الصراع النفسي الذي كان لابد أن يقوم في نفس محمد حين يقارن بين ماهو فيه من دعة وحب وأمن وبين ماهو مقبل عليه من أخطار . ولكن المسرحية مع ذلك كان يمكن في رأيي أن تكسب كثيراً لو ظلت الصلة قائمة بين شخصياتها في الفصلين على نحو ما .

أما الاستاذ ميخائيل نعيمة فقد عالج قضية الحرب والسلام بطريقة صوفية طريفة في مسرحيته « القصر والمعمل »، فجعل الشاب الذي ورث عن أبيه القصر الفخم ومصنع الأسلحة الكبير يزهد في حياة القصر زهداً تلقائياً لم ينبع عن مواقف مادية أو نفسية خاصة ، وأقام في نفسه قلقاً مستبداً غامضاً مرجعه إلى أنه غير راض عن صناعته تلك التي تخرج للناس أدوات القتل والتدمير . ولكنه لا يدرك حقيقة هذا القلق إلا عن طريق رؤيا عجيبة يراها تابعه شمشون، ثم ينتهي به الأمر إثر ذلك الوحي الغريب الى تدمير المصنع فيعود السلام والسكينة إلى نفسه، ويمضي مع تابعه بعيداً عن ذلك المكان الذي شهد ماضيه المدنس .. ولو أمكن أن تحل مشكلة الحرب والسلام بهذه الطريقة الطريفة لهان الأمر. ولكن أين لنا بهذا الوحي وأين لنا بهذا الإيمان والتسليم إن صح أن هذا الوحي يمكن أن يجيء ؟ على أن هذا الوحي كان خليقاً أن يهبط على الشاب لا على تابعه، في نفسه هو يدور هذا الصراع . ولو كان المؤلف قد هيأ للشاب بعض التجارب والمواقف التي تتضح له مشكلته من خلالها بالتدريج ثم تنبثق فجأة في نفسه في صورة ذلك الوحي لجاء ذلك شيئاً طبيعياً بعيداً عن تلك الغيبيات غير المألوفة . ومع ذلك فمشكلة الحرب لا تتمثل في صانعي الأسلحة فحسب، ولكنها أعمق من ذلك وأكثر امتداداً في جوانب المجتمع الإنساني . وهي لذلك لا يمكن أن تحل هذا الحل الفردي البسيط .

اما مسرحية الأستاذ علي باكثير « النهر المقدس » ففيها رمز غامض لم أستطع أن أفهمه تماماً . ولم أستطع أن أفهم لماذا نصح الطبيب ذلك المريض بأن يدهن يديه « برجيع الأسد » ولا أدري لماذا يكون رجيع الأسد بالذات وليس رجيع أي حيوان آخر ! . وفي اعتقادي أن قضايانا أخطر وأوضح من أن نعالج عن طريق الرمز الذي إن فهمه بعض الناس فقد يعز فهمه على كثيرين.

القاهرة

عبد القادر القط

الأبحاث

بقلم الدكتور عزة النص

عندما قرأت «تقديم العدد» للدكتور سهيل خشيت أن يربوعده..ويصنع من « الآداب » كناشة او موسوعة دورية للعلوم والفلسفة وغيرها من صنوف المعرفة الانسانية اللامحدودة ..

خشيت أولا على نفسي وعلى من ستجندهم الأقدار بعدي – وكدت أقول تبتليهم – لنقد عدد من « الآداب » .. فاذا جاز أن يرتكز النقد الأدبي بعض الشيء الى عوامل الفرحة والضجر ، أي الى التأثر الذوقي والانطباع الذاتي على سنن (جول لوميتر) فمن الغرور المسرف ان يتصدى غير العالم لروز البحث العلمي وغير المتفلسف للخوض مع جماعة أرسطو وأفلاطون .

وخشيت ثانياً على القارئ ؛ فهو حين يتخير « الآداب » مظنة انيستمرئ القصة والشعر ، وليس موهوماً فيه أن يحسن – او يحب – الغوص العلمي او التعميق الفلسفي .

وقلبت الصفحة الاولى على تخوف ، ما لبث أن بدده تتالي الصفحات . واطمأنت نفسي ، فالدار ما زالت هي الدار ، والمائدة لم يتبدل ما عليها من إدام وأطعمات وثمر .

وأحب أن أقول للأستاذ سهيل – او عن الأستاذ سهيل – ان الأبواب المألوفة في « الآداب » كانت ولا تزال تضم لمة خيرة من الثقافات المتصلة بالأدب او الضرورية له . فهذه الأبواب الجديدة في السياسة والعلم والفلسفة التي عزم على اضافتها نريدها ان تكون كما كانت .. متممة لا مستكملة وأداة لا غاية .

ويغلب على الظن أن صاحب « الآداب » عمد الى نوع من المخادعة اللبقة عندما أعلن أن المجلة ستزدان بألوان جديدة عددها ، وهو في الواقع يطمع في ان يجدد من انتباه القارئ والمؤلف على السواء الى جملة من المعارف المساعدة او الموصلة – كما يقول السادة الأصوليون – لا يسمو الأدب ويغتني الا بها .

١ – المقالات السياسية

وفي إطار هذا القصد – قصد « التنمية الادبية » – لابد للكاتب وللقارئ من تربية سياسية تتميز بالصحة والشمول . وأعني بالتربية السياسية ثقافة غورية بالتفاعلات الدولية الموجهة لأحداث اليوم والمهيئة لتاريخ الغد ، وعلى وجه خاص ما يتصل منها بالافق العربي .

الى هنا نحن على وفاق . اما أن تكون السياسة في « الآداب » على ضحل ما يكتب في الصحف اليومية ويبث من دور الاذاعة، فذلك تكرار لا غنوة منه على الأدب والمتأدب .

وعلى ضوء السلوك الأجدى والأمثل أحسب ان الاستاذين الكبيرين مندور والخوري قد وضعا تحت المجهر ظاهرات مرئية بالعين المجردة ..

فمقال الأخ رئيف (فراغ ايزنهاور) اتقبله على انه « تحديد موقف » لأديب ضخم في قضية سياسية مستجدة تحتفر الصميم من البنية العربية . وأجزم بأن القراء يتجاوبون معه في هذا الموقف السليم السوي ، وان كانوا يطمعون في مزيد من الاستجلاء لركائز الاستعمار الامريكي وألوان براقعه وجلابيبه .

وفي (زحف التحرر العربي) يقرر الدكتور الفاضل محمد مندور حقيقة في غنى عن الدليل ، لكن في التذكير بها مرة ومرة ترسيخاً وتمكيناً ، وهي ان القومية العربية تساير معركة التحرر من الاستعمار ؛ وكل منهما يقوي الآخر ويزكيه . وبداهة ذلك ان الاستعمار هو دوماً مصدر التفرقة ؛ ومتى زالت العلة تهافت المعلول . على أنني ألمح في بعض الإيماءات التي دونها الكاتب الصديق ماقد يجرف الى لبس ظلوم . فقد يكون صحيحاً ان الانجليز لم يعارضوا في ولادة جامعة الدول العربية ، أو أنهم رحبوا بهذه الولادة أملا في تبني الوليد ، وتنشئته على مقاصدهم المقيتة . ولكن الحدس بأن الانجليز هم الذين صنعوا الجامعة العربية هو إرجاف استعماري ايضاً ؛ فالجامعة بنت نصف قرن من البطولات والأضاحي ؛ ولئن بدت الى اليوم قعيدة أو مسيخة فالجرم في ذلك ايضاً جرم المستعمرين .

٢ – قضايا الفكر العربي المعاصر

وأشعر هنا أيضاً أنني لست أمام باب جديد جديد .. فعميد الفكر العربي الدكتور طه حسين وكثيرون غيره قد عرضوا في « الآداب » وعالجوا وتناقدوا وناقشوا تلك المشكلات بالذات التي استدرجت السيدة الفاضلة عائدة الدكتور طه الى إبداء الرأي فيها .

ولا بأس ، فالاستاذ العميد يأتي بالطريف المثير حتى لو أعاد او استعيد .

ووددت لو أن السيدة الأديبة قد دهمت الدكتور طه باسئلة أشد إحراجاً ، كان تطلب اليه رأيه في تحديد الأدب والأديب ، وهل ينطبق هذا التحديد عليه بالذات ؟ ويعرف الدكتور طه ان اكثر من ناقد انكر عليه صفة الاديب واختصه بصفة استاذ للأدب ، والفرق بين الوصفين كالفرق بين الفيلسوف واستاذ الفلسفة .

ماذا نعني بالأديب وبالأدب ؟

في اكثر من مناسبة جبهنا هذا السؤال وعصي علينا الجواب .

في هذا العام سمت وزارة المعارف السورية لجنة تحضيرية لمؤتمر الادباء العرب في بلودان ؛ فأخذ عليها الآخذون موازينها « غير الادبية » في الانتقاء . وعكف الاعضاء المختارون على حصر موضوعات المدارسة في المؤتمر العتيد ؛ واختلفوا ما شاء لهم الاختلاف ؛ وأشكل عليهم ما ينطوي في مضمون الأدب وما يتأبى عليه ؛ وقد جهدهم النقاش أيما جهد ، حتى التمس بعضهم مخرجاً في تبديل اسم المؤتمر ، كأن يدعى مؤتمر المفكرين او المثقفين او الكتاب أو اهل القلم .. ثم احتفظوا بالاسم الأول عن كلالة ؛ وعاد الخلاف أشد ما يكون

تطلب « الآداب »

في مدينة « فاس »

بمراكش

من مكتبة العلمي

زقاق لهجر ٥١

الخلاف حين انتهوا الى مشكلة الدعوة : من يدعون ومن لا يدعون ؟

ورأوا أنهم يرجعون الى ما بدأوا به : من هو الأديب ؟ وما هي سماته وملامحه وقسماته ؟

لقد اتفقوا بعد لأي على مقياس حسبوه جامعاً مانعاً ، فقالوا الاديب هو الكاتب المبدع في الاسلوب وفي الموضوع ؛ واذا بهم يقصرون صناعة الأدب على زمرة الشعراء والقصاصين . وفطنوا ان المؤتمر لم يكن معداً لاستماع القصة والقصيد ، وانه يستهدف دراسة قضايا الأدب وصلته بالمجتمع وصلة المجتمع به ؛ والشعراء والروائيون أدنى الى ما يمكن أن يسمى بالأدب المحض ، وهم أبعد الناس عن إجادة التحدث في شؤون الأدب .

وهكذا هوى المقياس المقترح ؛ وأحس الأعضاء المحضرون بضرورة الإفادة من النقاد وأساتذة الآداب ؛ ولكنهم صدموا مرة أخرى بهذه الكلمة الغائمة : آداب ؛ وكليات الآداب في العالم أجمع تضم فقهاء اللغة وعلماء البيان ، كما تضم اساتذة التاريخ والجغرافيا والفلسفة وعلم النفس وغيرهم .. فمن يأخذون ومن يتركون ؟

قالوا لنجعل مقياسنا الانتاج الفكري اذا تميز صاحبه باسلوب بديعي ؛ فما زادهم ذلك الا وسعة في الخلاف ؛ وعدوا أكثر من مفكر يبحث في علوم الهيئة والرياضة والطبيعة ويلتزم اسلوب الادباء .

والاتفاق المحتوم كان التواطؤ على الأسماء لا على المسميات ؛ فاختير المدعوون بالاقتراع السري ، وبالاستناد الى الصداقات القائمة من جهة والانطباع الوجداني من جهة اخرى . وأثار هذا « اللامقياس » غضبة « اللامدعوين » حتى فكرت وزارة المعارف في الانصراف عن المؤتمر كله ؛ ثم استقرت على استرضاء بعض « اللامدعوين » الى المؤتمر بدعوتهم اليه ؛ وصنفت أخلاط المؤتمرين تصنيفاً يقوم على مجرد الاعتباط ؛ فعينت هيئة بحث وهيئة شرف ، وهيئة استماع وهيئة ادارة وتنفيذ الخ .. وكان هذا التصنيف أيضاً « لا مقياسياً » ؛ ووجدت كثرة اللجنة التحضيرية غضة عليها في حضور المؤتمر فنكبت عنه .

وقد أوصى المؤتمر في جملة ما اوصى به تشكيل « جمعيات ادبية » في كل قطر عربي . واجتمع نفر من المعنيين بشؤون الفكر لتأليف مثل هذه الجمعية في دمشق ، وعاودهم الاختلاف على هوية الادب والاديب .

وهكذا ترى السيدة عائدة أن تحديد مفهوم الأدب والأديب أمر له ما بعده .

الروم

دراسة تاريخية مستفيضة في سياسة البيزنطيين
وحضارتهم ، ودينهم ، وثقافتهم ،
وصلاتهم بالعرب

بقلم

الدكتور اسد رستم

دار المكشوف — بيروت

ومن كان أجدر من الدكتور طه حسين بحل هذا اللغز ؟

وثمة استجلاء آخر وددت لو أن السيدة الكريمة عائدة قد هجمت به على الدكتور طه حسين . فقد حدثها عن اتصال الأدب بالسياسة منذ أن كان الأدب ومنذ أن كانت السياسة : ولا ينكر هذا الاتصال الا من ينكر نباهة الحاسة وفررة الشعور عند الاديب. ولكن التجاوب مع أحداث السياسة شيء ، والتمرس بها والانصراف اليها والاسهام فيها شيء آخر . وقد استقر في بعض الأذهان ان اشتغال الأديب بالسياسة خسران للأديب وللسياسة معاً ؛ فليس له مثلا أن يشارك في الحكم كما يشارك رجال المال او رجال القانون ، لأن بنيته النفسية والعقلية تجعله — على زعمهم — أسرع انفعالا وأشد تارجحاً وأدنى الى الخلط بين الحقيقة والخيال . ويأتي الآخذون بهذا القول بأمثلة من سيرة أندره شينيه وشاتوبريان ولامارتين وهوغو ودانتي وماكياڤيلي وغيرهم .

وددت إذن لو أن السيدة عائدة تدلفت الى الاستاذ العميد وأخذت بيده الى هذا المنحى ، وهو بالذات سياسي وأديب . ولعلها تطير ثانية الى (الرامتان) و « الشمعة تستحق المقامرة » كما يقول المثل الافرنسي (١) .

وليأذن لي الدكتور طه أن أسائله بدوري عن هذه الواقعية التي يستمسك بها أدباء الجيل الجديد او يدعون الاستمساك بها ، ولا يرى فيها الدكتور الجليل « أكثر من انها رجوع الى الأدب الصحيح كما عرفناه في حياة القدماء من العرب وغير العرب ومن المحدثين الاوربيين » .

ونحن هنا بالضرورة نمثل جانب القراء .. فلا حرج علينا اذن أن لا نعنى قليلا او كثيراً بتلك التصانيف العشوائية التي تواضع عليها أساتيذ الأدب . فالكلاسيكية والابداعية والطبيعية والواقعية والرمزية والانطباعية والمثالية والوجودية ، كل ذلك بالنسبة الينا مسميات سديمية المعالم والحدود ، تتداخل وتتصالب ، فلا يعرف أين تنتهي أولاها وتبدأ الثانية .

والقراء لهم نبراس واحد وحيد وهو الذوق ، فما استجادوه فهو جيد ، وما تململ منه فهو رديء . وكل كاتب يبلغ الى استثارة هذا الذوق فهو أديب كل الأديب ، سواء كان ما يكتبه عنه واقعاً او محتمل الوقوع ، متصوراً او بعيداً عن التصور . فالمهم ان يتحمس القارئ ويشعر برباط لا يقاوم بين حسه وبين الأثر الذي يقرأ .

ولا فرق في المعايير البديعية عند القارئ بين الكونتيس دو سيغور في (مذكرات حمار) وبين الفريد دو موسه في (الليالي) وبين فرانسواز ساغان في (مرحباً بالحزن) .

وعلى ذكر هذه الأخيرة ، لقد اتفق ذوق الدكتور طه وذوق العاجز على استجادة (مرحباً بالحزن) وأحسسنا فيه مالا يحده الوصف من عذوبة وسحر وأسر . وقرأت بعد ذلك آخر ماكتبت فرانسواز وهو قصة (ابتسامة) (١) فما وجدت فيه سوى زنى وقح في كل صفحة ، لا أقل ولا اكثر . ولم يتح لي الالتقاء بالدكتور طه من جديد لأتعرف رأيه في هذا الاثر الجديد . وانا موقن كل اليقين انه لم يستسغه ، ولم يحتمل قراءته الا على عنت وسآمة ، كما احتمل قراءة (المنقفين) لسيمون دو بوفوار .

والذي أردت الخلوص اليه هو ان من الواقعية ما تسر له النفس وتستريح . ومنها ماتنبو عنه وتتقزز . والشيء ذاته يمكن أن يقال في كل مذهب ومنحى ادبي .

---

(١) « Le jeu vaut la chandelle »

(٢) « Un certain sourire »

والواقعية على كل حال هي عملية انتقاء . فلا يمقل ان يسجل (الواقعي) كل ما يقع تحت الحس او البصر ، كما لا يعقل ان يدون المؤرخ كل حدث كبر ام صغر . ولكن الانتقاء ليس بالضرورة أسود المنظار ، فلا يرى من الحياة الا سوأتها وظلمتها وظلامتها وشوكها وعفنها ..

وليعذرني السادة الواقعيون من ادباء هذا الجيل ؛ فان القراء الذين وكلوا الي الدفاع عن أذواقهم في هذا العدد من « الآداب » لا يجدون الجمال كل الجمال في هذا التحيز كل التحيز للقبح ..

٣ – العلم والاقتصاد

الدكتور عبد الله عبد الدائم ذو اختصاص وسيع بالتوجيه المهني ؛ ولكنه إذ يتناول هذا الموضوع من ناحية العمل والعمال لا ينسى أنه أديب يكتب لأدباء ومتأدبين ؛ وهو بذلك قد حقق ما اشترطناه في صدر هذا المقال .

وآسف أنني لا أستطيع البوح بمثل هذا الإطراء بالنسبة الى مقال مالك بن نبي المترجم عن الفرنسية ، وهو (أسس فعالية اقتصاد إفريقي أسيوي) . وفي رأيي ان « الآداب » ليست المكان الأنسب لمثل هذا البحث العميق الغني ؛ وكان أحرى به أن ينشر في مجلة اختصاص اقتصادية ؛ بل وكان من اليسير على المعرب الاستاذ الطيب الشريف أن يجنح الى التلخيص والتبسيط حتى يسبغ على المقال صفته المتوائمة مع رسالة « الآداب » . وأحسب أن كثيراً من قراء هذه المجلة قد برموا بوفرة المصطلحات الفنية ، تلك التي يستلزم إدراكها قدراً غير زهيد من التخصص .

وأحب للاستاذ الطيب انيستأنف النظر في تعريب بعض الكلمات والمصطلحات (كالمهمة : Vocation ، والمفهومية : idéologie) ، أو في مطابقتها لقواعد اللغة العربية (فلا يصير ه مثلا أن يقول : فوق الاقتصادية ، بدلا من الفوق – اقتصادية) . وقد يكون من الخير ان تتبنى لغتنا كلمة (التكنيك) كما تبنت الراديو والتليفون ؛ ولا أحسب كلمة (الصياغية) تني بالمعنى المطلوب .

٤ – على هامش النقد

للاستاذ الشاعر نزار قباني أكثر من ذكر في العدد الماضي من « الآداب » .

فهو موضوع تجريح (Hypercritisme) في مقال خاص للاستاذ نديم نعيمة ؛ وهو موضع إعجاب وتزكية في تعليقات الأساتذة ملك عبد العزيز وعبد العزيز محمود وسعد صائب . وإذا شاركت المزكين او تزيدت عليهم في استحسان « رسائل جندي مصري في جبهة السويس » ، فلا يسعني التضامن مع الاستاذ نعيمة في ملامة نزار ، أو ملامة المرأة في شعر نزار .

وأي عتب عليه أن « لا يحس الحياة الا اذا أطلت عليه – المرأة – من إحدى قوارير الطيب ، فأثارت شعوره في صدر ناهد أو خصر ضامر أو بسمة مغناج » ؟!

إن الشاعر نزار هو « ثرلين » العرب ؛ وليس أدعى الى اعتزازه من أن يشبهه في تجسيد المرأة ؛ وهو يواكبه في تحرير العروض والتحري عن الجرس وخصب الخيال وألق الصورة وصدق التصوير .

ومن الجور أن نطلب الى الشاعر أكثر من أن يدفئنا بحرارة ما يشعر ويفتح أعيننا على بهاء ما يرى.

فاذا ألزمناه « الافتعال » وطرق موضوعات لا تهز منه صميم الإحساس ، فقد جنينا عليه وتنكبنا عن مفهوم الشعر .

دمشق **عزة النص**

مؤسسة المطبوعات الحديثة

مركز الشرق العربي ببيروت

تعمل على تعميم رسالة الفكر والثقافة على اختلاف الوانها وميادينها ، وتقريبها لجميع شعوب الامة العربية ، في سبيل نهضة شاملة تستمد غذاءها من المطالعة المهذبة الراقية التي هي طريق المعرفة والتقدم .

قائمة مطبوعات مختارة لمطالعات الشهر

غ. ل.		
١٢٠٠	مصادر الشعر الجاهلي	للدكتور ناصر الدين الاسد
٢٥٠	مع المتنبي	للدكتور طه حسين
٢٥٠	الجواري المغنيات	للاستاذ فايد العمروسي
٨٠٠	الأقصوصة في الأدب العربي	للدكتور عبد العزيز عبد المجيد
١٢٥	ابن رشد	للاستاذ عباس محمود العقاد
١٢٠	الرثاء	للدكتور شوقي ضيف
٢٥٠	برتراند رسل	للدكتور زكي نجيب محمود
٢٥٠	النخيل	للاستاذ محمد علي الحوماني
٢٠٠	قصة العرب في اسبانيا	ترجمة الأستاذ علي الجارم
٢٥٠	الشبطان لعبته المرأة .	للاستاذ احمد الصاوي محمد
١٥٠	هذه هي الماركسية	للاستاذ محمد عيتاني
٢٠٠	جورج صاند	ترجمة الأستاذ بهيج شعبان
١٠٠	تغلب على القلق	ترجمة الأستاذ لويس الحاج
١٢٥	امرؤ القيس	من السلسلة المسرحية
٢٠٠	وفود العرب	من سلسلة العقد الفريد
٣٠٠	عمر بن ابي ربيعة	من مجموعة العقد الفريد
٣٠٠	معارك العرب في الأندلس	للاستاذ بطرس البستاني
٧٥	في قصور الملوك	للاستاذ قدري قلعجي
١٢٠	جزيرة الكنز	من مجموعة اولادنا
١٥٠	الاميرة الحسناء	من مجموعة المكتبة الخضراء

يمنح حسم خاص قدره ١٠ ٪ لكل من يشتري لزوم مكتبته المنزلية ما ينتقيه من هذه القائمة بقيمة ١٠ ليرات لبنانية .

تطلب هذه الكتب من توكيلات المؤسسة :

في لبنان : من دار المعارف بيروت

بناية العسيلي السور – المدخل من جهة المالية الطابق الاول

في سوريا : مكتبة اطلس (جادة الصالحية – دمشق)

في العراق : مكتبة المثنى (شارع المتنبي – بغداد)

ومن جميع المكتبات الشهيرة